

اللسانيات المعاصرة والخطاب القرآني نحو قراءة نصية تكاملية

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

"Allisaniyyat almaasiraa wlkhitaab alqurani nahw qiraatin naqssyyatin takaamuliyyaa"

مصطفى صالح القموني*

قسم اللغة العربية، كلية التربية، قصر بن غشير، جامعة طرابلس، الرمز البريدي 50676، ليبيا.

ALGAMOUNY Mostafa Saleh

Research Laboratory on: Department of Arabic Language, College of Education, Qasr Bin Ghashir, University of Tripoli, Postal Code 50676, LIBYA

mostafagamony@gmail.com



ORCID ID: <https://orcid.org/0000-00036555-0364->

تاريخ النشر: 2021/05/15

تاريخ القبول: 2021/03/28

تاريخ الاستلام: 2021/03/11

لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

القموني، مصطفى صالح، ماي 2021. اللسانيات المعاصرة والخطاب القرآني نحو قراءة نصية تكاملية. مجلة التراث، المجلد 11، العدد 02، من ص 136، إلى ص 155. [E-ISSN 2602-6813 ISSN: 0339-2253].

TO CITE THIS ARTICLE Style ISO 690-2010:

ALGAMOUNY, Mostafa Saleh, May 2021. Contemporary linguistics and Quranic discourse towards an integrative textual reading. AL TURATH Journal. Volume 11, issue 02, P 136, P155. [ISSN: 0339-2253 E-ISSN. 2602-6813].

تنبيه:

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.

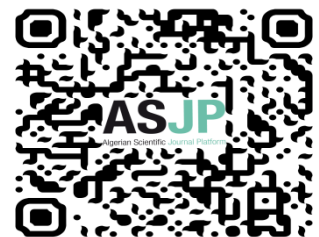


Attention:

What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323>



المؤلف المرسل: مصطفى صالح القموني، البريد الإلكتروني: mostafagamony@gmail.com

نريد من خلال هذا البحث عرض بعض مناهج الدرس اللساني المعاصر التي يمكن توظيفها في قراءة الخطاب القرآني وكيفية الاستفادة منها على مستوى التحليل والعرض. وما مدى إمكانية الاكتفاء بالمنهج الأصولي في استنطاق كافة النصوص وتطويره بما يحقق تطويرا وتكاملا معرفيا بينه وبين المناهج اللسانية المعاصرة، إذا ما أردنا استعمالها في تفسير النص الشرعي وتحليله وجعلها ضمن العلوم التي اعتمد عليها الأوائل في التفسير والتحليل.

الكلمات المفتاحية: التأويل، الخطاب، الضابط، الاستفادة، المنهج.

تصنيفات JEL: N3 ، K4 ، Z13

Abstract

We want, through this research, to present some contemporary linguistic lesson approaches that can be used in reading the Qur'anic discourse and how to benefit from them at the level of analysis and presentation. And what is the extent to which the fundamentalist method can be satisfied in interrogating all texts and developing it in a way that achieves development and cognitive integration between it and contemporary linguistic approaches, if we want to use it in the interpretation and analysis of the legal text and make it among the sciences that the early adopters relied on for interpretation and analysis

Key words: interpretation, discourse, control, utilization. Method

JEL: Z13 ، K4 ، N3

Résumé

Nous voulons à travers cette recherche présenter des approches de leçons linguistiques contemporaines qui peuvent être utilisées dans la lecture du discours coranique et comment en tirer profit au niveau de l'analyse et de la présentation. Et dans quelle mesure la méthode fondamentaliste peut-elle être satisfaite en interrogeant tous les textes et en les développant de manière à réaliser le développement et l'intégration cognitive entre eux et les programmes linguistiques contemporains, si nous voulons l'utiliser dans l'interprétation et l'analyse du droit texte et faites-le parmi les sciences sur lesquelles les premiers utilisateurs se sont appuyés pour l'interprétation et l'analyse.

Mots clés: interprétation, discours, contrôle, utilisation, méthode

JEL: Z13 ، K4 ، N3

تعد الدراية المعمقة بعلوم اللغة العربية من الأدوات التي يجب على المتصدر لتفسير النص الشرعي وتأويله أن يتصف بها، وفي هذا العصر -ومع ظهور المناهج اللسانية الحديثة المتعلقة بتحليل النصوص- ظهرت دعوات تنادي بضرورة إعادة النظر في الآليات التراثية الموظفة في تفسير النصوص الشرعية والاستعاضة عنها بتلك المناهج الحديثة، ولكن الفكرة التي تأسس عليها هذا إن أي علم متى فقد الجدة فقد قيمته وخلوده، لأنه يصبح يدور في فلك التكرار والاجترار لأطروحات المتقدمين وآرائهم، والرؤية الجديدة تصنع لغة جديدة "لان هذه الرؤية الجديدة بحاجة للغة جديدة تعبر عنها فلا يمكن أن تعبر عن فكرة جديدة بلغة قديمة . وهذا هو الإبداع الحقيقي والإضافة النوعية التي تجعل المبدع خادما للغة وليس مستخدما لها"¹.

إن الإشكالية التي نحاول معالجتها هنا تتأسس على ضابط الانفتاح على معطيات المباحث اللسانية المعاصرة الذي يحافظ على خصوصية النصوص ومقاصدها الموجهة والمؤطرة لها ويتعد عن الإسقاطات البعيدة والمتكلفة.

ويقوم هذا البحث على فكرة رئيسة تلخصها الإجابة عن سؤال مفاده: كيف يمكن لنا الاستفادة المثلى من أطروحات الدرس اللساني المعاصر في تحليل النص الشرعي بطريقة تنسجم وتتكامل مع المنهج التراثي ولا تكون منبئة عنها؟

تأتي أهمية هذا البحث تعقب بعض المناهج الإجرائية التي وضعها اللسانيون، والتي تُعنى باستنطاق النصوص وسبر أغوارها من خلال منهجية منضبطة تراعي جملة من الأنساق، كما تسعى إلى تحقيق قيمة مضافة تثري الحقل التحليلي للنصوص عموما وللنص الشرعي على وجه الخصوص. ويضاف لذلك اثبات قدرة العقل اللساني العربي على مواكبة العقل اللساني الغربي.

هدف هذه الدراسة يكمن اختصاره في تحقيق مبدأ الاستفادة من الآخر فيما لا يعود على تراثنا بالهدم والإبطال. انطلاقا من ان هذا الانفتاح المنهجي المنضبط يحدد النص ويحقق له معنى السيورة والاضطراد.

والمنهج الذي سلكه هذا البحث توزع بين الوصف والتحليل والمقارنة.

وحتى يتحقق التصور الصحيح للموضوع لابد من وضعه في مكانه اللائق به معرفيا. وهذا يتطلب تسلسل مطالب هذا البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: مركزية الدرس اللغوي في تفسير النص الشرعي

المبحث الثاني: توظيف المناهج اللسانية التأويلية المعاصرة في تفسير النص الشرعي

المبحث الثالث: المناهج اللسانية الأصولية في تفسير النص الشرعي

المطلب الأول: عناصر العملية التخاطبية عند الأصوليين

المطلب الثاني: الحمل

المطلب الثالث: مبادئ الحمل

المبحث الأول: مركزية الدرس اللغوي في تفسير النص الشرعي

الناظر في كتب التفاسير وكذلك كتب التي تصدت لشرح الحديث يجد الاعتماد الظاهر لأصحابها على علوم اللغة العربية باعتبارها الآلة الرئيسية التي لا مندوحة للعالم من استنطاق الشرعي بواسطتها، ونظرة متأنية إلى تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وإلى تفسير الدر المصون لتلميذه السمين الحلبي كافية في البرهنة على ذلك التعالق الشديد بين علوم اللغة والتفسير، كما يؤكد خاصية التكامل الوظيفي والتداخل المنهجي بين العلوم الإسلامية والعلوم اللغوية، ويكشف عن مدى تلاحمها وارتباطها في مقاصدها وأغراضها.

والذي يبدو أن سبب تسمية ابن فارس لكتابه (الصاحي في فقه اللغة) إنما هو استحضار للعلاقة المتينة بين علم اللغة وعلم الفقه المعروف بمعناه الاصطلاحي.

ولسنا بحاجة إلى ذكر النصوص والآثار التي وردت في الحث على تعلم العربية لمن راد التصدي للنص الشرعي والكشف عن خباياه، تكفي فقط الإحالة على كتاب (الوقف والابتداء) لابن الأنباري، ومعه كتاب (الصعقة الغضبية) للطوفي، فقد أطل كلاًهما النفس في بيان مكانة العربية ومنزلتها وذبحاً في ذلك الصفحات ذوات العدد بما يغني عن البحث في غيرهما.

ونحن إذ نذكر هذا الكلام فإننا نجعله كالأساس الذي ننطلق منه في هذا الموضوع، بمعنى أن أي توجيه لنص شرعي لا يستدعي هذا الضابط بل يكون في حالة من القطيعة معه فإنه لا يمكن القبول به.

المبحث الثاني: توظيف المناهج اللسانية التأويلية المعاصرة في تفسير النص الشرعي

تأسست المدارس اللسانية المعاصرة على ثنائية الدال والمدلول وعزلهما عن السياق الخارجي الذي تعبر عنه الدلالة، وهذا ما اشتهر عند رواد المدرسة البنيوية، والذي جعلها عرضة للنقد؛ لكونها تنحو منحى التجريد الذي يسلب الدلالة شرارة فسحتها وانفتاحها. والواقع أننا لا نستطيع أن نكون بصدد أي عملية تأويلية ما لم نستصحب النص بوصفه وعاء لغويا للمعنى إضافة إلى المعطى الاجتماعي الذي يقدمه، من هنا اتجهت الدراسات نحو المقاربة الجديدة في معالجة النصوص ليست بوصفها بنية مغلقة معزولة، وإنما في إطار السياق الاجتماعي للنص².

وثمة سؤال يطرح هنا، وهو ماذا يعني انفتاح الدلالة وتعددية التأويل؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر الأنماط الثلاثة التي تشكل التأويلية، وهي على النحو الآتي:

1. التأويل المطابق، وهو معني بالكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، وهو ما يعني المطابقة بين مقصد الكاتب وقصدية النص.

2. التأويل المتناهي، يأتي هذا التأويل في سياق تعددية المعاني، لكنها تخلص في النهاية إلى معنى واحد محتمل، أي أن هذه التعددية الدلالية تقوم على إرغامات منطقية ولغوية وثقافية، لكن رغم تعدد المعنى الذي يعتمد عليه المفسر في أثناء ممارسة التأويل، إلا أنه في الأخير ثمة معان يركن عندها التأويل ولا يزيد عليها، وهو ما يعني أن إنتاج المعنى محدود رغم تعدد النظر واختلافه، وأن هؤلاء يستندون إلى قواعد التأويل التي يصلون من خلالها إلى مراد المؤلف.

3. التأويل اللامتناهي، ينطلق من مسلمة مفادها أن بنية النص الدلالية غير منتهية في إنتاج المعاني والدلالات، فالتعددية لا محدودة، بل إنها رهان مفتوح لا يعرف انتهاء، فالنص ولاد للمعاني ولا ينتهي عند قراءة واحدة أو محدودة، حيث إنه لا يوجد أي حدود وقوانين تضبط العملية التأويلية، كل ما هنالك أن القارئ يتصرف في النص بكل حرية، ورغبته في ابتكار الدلالات وإنتاجها هي وحدها التي تسيطر على منهجية قراءة النص.

ويعد كل من جاك دريدا وميشيل فوكو من أكثر المفكرين تنظيرا لمفهوم التأويل اللاهائي، لأنهما يعتقدان أن العملية التأويلية قائمة أساسا على إنتاج المعنى وليس الوصول إلى المراد، أي أن مقاصد المؤلف وقصدية النص لا قيمة لها في العملية التأويلية التي يراد منها إنتاج الدلالات والمعاني فحسب⁽³⁾. وهذه التأويلية هي التي استلهم منها الحداثيون المسلمون والعرب تجربتهم في تأويل النصوص، ولم يستثنوا في ذلك النص الشرعي، فأحدثوا بذلك قطيعة معرفية ووقعوا في إشكال منهجي تمثل في استعانتهم بأدوات تأويلية غريبة عن بيئة النص المؤول وطبيعته، غاضين الطرف عن الضوابط والحدود الخاصة بالتأويل، والتي نظر لها الأصوليون وأخذت مساحة واسعة من مؤلفاتهم. وهو ما سيكون محور حديثنا الآتي.

المبحث الثالث: المناهج اللسانية الأصولية في تفسير النص الشرعي

أكبر نقد قوبل به الذين راموا تحليل النص الشرعي (والقرآني منه على وجه الخصوص) أنهم لم يحملوا أنفسهم عبء النظر فيما أنتجه علماء التراث من ضوابط موضوعية للتعامل مع النص الشرعي تكشف عن مضامينه الحكمية ومكنوناته الجمالية بعيدا عن الإسقاط الذاتي والتعسف في التأويل، وأخص من ذلك جهود الأصوليون الذين يعدون من أكثر علماء التراث اهتماما بمباحث الدلالة، وعلى مستوى عال من سعة الاستقراء والشمول والتفعيد، كما أن مباحثهم في دراسة الخطاب ودلالته قد بلغت مستويات بعيدة من دقة الوصف وسعة تناول، حتى إنه يمكن القول بأن الأطر النظرية بمفاتيحها الإجرائية ينبغي ألا يقتصر إسقاطها على النص الديني فحسب، وإنما تتجاوزه لتشمل كافة النصوص الإبداعية والمقاصدية.

وهنا نذكر بعض ملامح ذلك المنهج الأصولي في التعامل مع الخطاب الشرعي وكيفية تأويله.

المطلب الاول: عناصر العملية التخاطبية عند الأصوليين

الواقع أن جمهور الأصوليين يعتبرون عملية التخاطب تتم على النحو الآتي⁽⁴⁾:

1 الوضع: الذي قام به واضع اللغة، وهو نسبة الألفاظ إلى المعاني.

2 الدلالة: التي هي نتيجة للوضع والسياق.

3 الاستعمال: وهو إطلاق الكلام وقصد معنى ما.

4. الحمل: وهو اعتقاد السامع مراد المتكلم.

يلاحظ -هنا- أن عناصر العملية التخاطبية لدى جمهور الأصوليين تتم مرتبة؛ فلا يمكن أن يكون هناك حمل للمعاني قبل الاستعمال، ولا استعمال قبل الوضع. وكل عنصر من عناصر الخطاب له دور في العملية التخاطبية يرتبط به؛ إذ يرتبط الوضع بالوضع، والدلالة بالوضع، والاستعمال بالمخاطب. وحول هذا الترتيب يعتبر القرآني أن "الوضع سابق، والحمل لاحق، والاستعمال متوسط"⁽⁵⁾، وبهذا يمكن القول بأن اللفظ يمكن أن تكون دلالاته باعتبار ما تدل عليه الصيغة في أصل وضعها على الإطلاق أو باعتبار المقاصد الاستعمالية التي تقضي العوائد بالقصد إليها، وإن كان أصل الوضع على خلاف ذلك⁽⁶⁾،

فالاستعمال هو الوظيفة الأكثر أهمية في العملية التخاطبية. وبالتالي تكون العملية التخاطبية كما هي العملية التواصلية عملية مشتركة متكاملة بكل عناصرها.

ومهما يكن من شيء فلا بد أن يلاحظ أن هناك أوجه تشابه بين التمييز المعروف في اللسانيات الحديثة بين علم الدلالة وعلم التخاطب من جهة، وتفریق علماء الأصول بين الوضع والاستعمال من جهة أخرى؛ فالوضع والدلالة كلاهما يتعلق بدراسة المعنى المجرد عن السياق؛ إذ الوضع يدرس نسبة الألفاظ للمعاني، وعلم الدلالة يهتم بدراسة المعنى، وأما علم التخاطب فيعني حرفيا علم الاستعمال، يقول د محمد يونس عن الوضع والاستعمال: "هما ثنائية الأصوليين المعادلة لثنائية الدلالة والتخاطب في

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

اللسانيات الحديثة، فالوضع هو ما يقوم به واضع العناصر اللغوية (المعجمية والقواعدية) عندما ينسب إليها معنى من المعاني لغرض الدلالة الثابتة عليها والاستعمال هو إطلاق المتكلم اللفظ في مقام تخاطبي معيّن للتعبير عن قصده⁽⁷⁾.

وبعبارة أخرى فإن معرفة الوضع تعني الإلمام بمعاني المفردات والقواعد النحوية والصرفية، وهذه المعرفة تقابل ما يسمى في اللسانيات الحديثة بالكفاية اللغوية، على حين أن المعرفة الاستعمالية تقابل ما يسمى بالكفاية التخاطبية⁽⁸⁾، وهذا ما يفضي إلى القول بأن الاستعمال هو تجسيد لقواعد اللغة ومواضعها المعجمية في إطار سياقات محددة، بمعنى أن في الاستعمال تصبح الجملة الممكنة نظرياً قولاً فعلية منطوقة أو مكتوبة، وتتحول دلالات الألفاظ من معانٍ محتملة إلى مقاصد محددة⁽⁹⁾.

المطلب الثاني: الحمل

يعرف مصطلح الحمل بأنه اعتقاد السامع مراد المتكلم⁽¹⁰⁾، أي تفسير المخاطب لما يمكن أن يقصده المتكلم أو الكاتب كحمل الشافعي قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة 232] على الأطهار، وحمل أبي حنيفة للآية على الحيضات بناء على أن هذا هو مراد الله من الآية، وبناء على ذلك ينبغي لأي حمل أن يسبق بـ(استعمال مقصود).

وثمة فرق جوهري بين فهم الكلام وحمله على وجه ما، ذلك أن فهم الكلام هو المعنى المستنبط من المواضع اللغوية، أما فهم المراد أو الحمل فهو المعنى المستنبط نتيجة التفاعل بين متطلبات المواضع اللغوية ومقتضيات القرائن المحيطة بها، والنظر في مساقات الكلام ومقتضياته من أجل تطويق المعنى لاستنباط القصد⁽¹¹⁾.

ويُبنى الحمل عادة على:

1. معطيات الوضع التي تشمل المعاني المعجمية للكلمات والقواعد الصرفية والنحوية.

2. القرائن اللفظية والمعنوية المحيطة بالكلام.

3. أصول التخاطب، وهي أصول مستنبطة من تتبع سلوك المتخاطبين وطرائق تعاملهم مع النصوص.

وحين نتأمل تعريف الأصوليين للخطاب -الذي يُعد موضوعاً للحمل- بأنه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" نستنتج شروطاً ثلاثة كي يُحمل الكلام على وجه ما⁽¹²⁾:

-القصد حال النطق بالكلام.

-قصد مخاطبة السامع به.

-قدرة السامع على الفهم، فيخرج غير العقل والذي لا يفهم لغة المتكلم.

المطلب الثالث: مبادئ الحمل

لا بد أن يمر الخطاب عبر خمسة مبادئ إبتان عملية الحمل أو التأويل⁽¹³⁾، وهي:

1. مبدأ صدق المتكلم:

إن مبدأ صدق المتكلم يحتلّ من عملية الفهم والتحليل موقعا مهما، ويترتب عليه أنه إذا علم المخاطب -مثلا- أن المتكلم لا يكذب، علم أن المقصود حمل كلامه على المجاز في بعض المواضع⁽¹⁴⁾.

وخلافا لذلك، يمكن القول بأنه إذا افترض السامع أن المتكلم كاذب، فسيوقف عن عملية إعمال كلام المتكلم التي يتطلبها مبدأ (الإعمال) لكي يقع التفاهم، وهذا يعني أنه لكي تؤدي اللغة وظيفتها على نحو سليم علينا أن نحمل كلام المتكلم على الصدق ما لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولذا، إذا قال قائل: (زيد قام)، فسنفهم -كما يذكر القرآني- أن المخاطب أثبت هذه القضية، ونحملها على الصدق بمقتضى صدق التخاطب المفترض، اعتقادا منا بأن ما ذكره مطابق للواقع⁽¹⁵⁾. فالتأكيد على مبدأ صدق المتكلم من أجل الحفاظ على التواصل لا يعني أن اللغة مؤصلة على الصدق، لكن كل من الصدق والكذب هما من نتائج استعمال اللغة من قبل المتكلم، فهو فقط مسؤول عن نجاح أو إخفاق عملية التخاطب.

يبدو أن مبدأ (صدق المتكلم) بهذا الوصف يكون أحد ملامح القراءة الواقعة خارج العناصر اللسانية، بمعنى أننا إذا احتكنا إلى مبدأ صدق المتكلم أثناء فحص التأويلات نكون قد غادرنا الضوابط النصية نحو عناصر خارج نصية، فهو توسيع لنمط القراءة بإدخال عناصر جديدة لا تتعلق بالنص، لكن بالمتكلم.

2. مبدأ الإعمال:

يراد بمبدأ الإعمال وصف ما ينبغي أن يفعله المخاطب عندما يتلقى كلام المتكلم، وطبقا لهذا المبدأ يبحث المخاطب عن أي مفتاح يقوده إلى مراد المتكلم مفترضا أن للمتخاطبين مصالح مشتركة في التخاطب بينهما، كما يعني هذا المبدأ أيضا أنه مثلما يحرص المتكلم على توضيح كلامه ما أمكنه ذلك لكشف مراده لمخاطبه، فإن على السامع أيضا أن يعمل كلام المتكلم، بافتراض أنه مفيد إلى الحد الذي يسمح بكشف مراده. ولكي نشرح هذا المبدأ بلغة سهلة غير اصطلاحية نقول: إن إعمال الكلام أو اللفظ هو أن نحمله معنى، أو نبحث عن الغاية منه⁽¹⁶⁾. فليس هناك -في ضوء مبدأ الإعمال- إرجاء للمعنى، أو انتهاء إلى لا أدريّة، بل لا بد للبحث أن ينتهي إلى معنى محدد يناط باللفظ.

لا شك أن عملية التحليل تقتضي تجوالا بين وحدات النص الدالة، مما يستتبع إمكانية إبعاد بعض الوحدات لعلّة أو لأخرى، حفاظا على تماسك نظر المخلل للنص. ودفعاً لتعطيل بعض جوانب رسالة التخاطب، فإن علماء الأصول قد صاغوا مبدأ الإعمال بما يضمن الحفاظ على بنية الرسالة ومقاصد صاحبها.

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

ويدخل تحت مبدأ الأعمال -فيما يبدو- كثير مما نص عليه علماء الأصول، كالجمع أولى من الترجيح، وحمل العام على الخاص إذا ثبت، والمطلق على المقيد، والاعتبار بزيادة العلم، وغير ذلك مما فيه إعمال لكل أطراف النصوص، وتكثير للمعنى، وتوخي للإفادة.

3. مبدأ التبادر:

يستخدم مبدأ التبادر لتحديد أرجح حمل سليم، فالأصوليون يفترضون "أن الحمل المتبادر أو السابق إلى الذهن هو الحمل الأرجح لأن يكون مطابقاً لقصد المتكلم، وأي حمل ممكن آخر يخطر على الذهن فيما بعد يسمى (المبادر) أي (المسبق)، ولكن ليس كل حمل يخطر على البال يكون مقبولا، بل لا يُقبل إلا ما يعتقد المخاطب أنه مقصود المتكلم، والغرض من ذلك استبعاد الاستنتاجات غير المحدودة التي يمكن استنباطها من الكلام، إذا ما صرف النظر عن قصد المتكلم"⁽¹⁷⁾.

4. مبدأ الاستصحاب

يتكئ مبدأ الاستصحاب على فكرة عريقة في التراث العربي الإسلامي، وهي فكرة الأصل والفرع، وعادة ما يصاغ بصيغة: الأصل بقاء ما كان على ما كان. هذه الفكرة تتخذ أشكالا مختلفة عند تطبيقها، سواء في المجال الفقهي، كقولهم: (الشك لا يذهب اليقين)، أو اليقين لا يزول بالشك استصحابا لحال الأصل، أو في مجال اللغة كقولهم: الأصل في الجر الكسرة، أو الأصل في الفعل البناء/الإعراب، ويمكننا أن نلاحظ أن التمسك بمبدأ الاستصحاب هو ضرورة دعا إليها الاحتراز من التوقف في إلحاق إحدى الدلالات باللفظ؛ لأن هذا فيه إخلال بمبدأ الأعمال، فالمخرج إذن هو التمسك بافتراض حدسي وهو الأصل؛ حتى يثبت ما يعدل به نحو معان أخرى.

والذي ينبغي تأكيده في هذا الموضع هو أن الحمل يجب أن يتم دائما وفق الأصل حتى يثبت الدليل على خلاف ذلك، وهذا يعني أن الحمل لا يتم دائما وفق الأصل، بل قد يعدل المؤول عن ذلك إلى الراجح وإن كان فرعاً، لكن الأصل يُصار إليه في حال انعدام القرائن الصارفة عن الالتزام بظاهره.

الحمل كما رأينا في تصور جمهور الأصوليين هو أنموذج ينبني على الوصف التداولي لعملية التحليل، ذلك الوصف الذي ينصب أساساً على بيان سمات التخاطب الناجح.

المبحث الرابع: ضوابط التأويل

لا يمكن أن نتجاوز هذا المقام دون ذكر الضوابط التي أطر بها الأصوليون مسالك التعامل مع النص الشرعي حتى لا يصير بابا للعبث، وهو ما يعني الانفتاح على أي محاولة جادة تنغيا إثراء النص الشرعي دون إقصاء للبيئة التي أنتجته.

انطلاقاً من أن مهمة التعامل مع الخطاب الشرعي منحصرة في استكشاف المعنى وليس إنتاجه وتأليفه كما يشير الشاطبي في مقدماته.

ولما كان الأصل في الكلام إجراءه على ظاهره اعتماداً على أن الألفاظ هي القوالب التي تحوي المعاني عُدَّ التأويل خلافاً لذلك الأصل، ووضع الأصوليون له ضوابط ومعايير.

فما هي الشروط التي وضعها علماء الأصول في التأويل حتى يستقيم أداة إجرائية معتبرة في مجال تفسير النصوص؟

هناك ما لا يقل عن ثلاثة شروط لدى الجمهور ينبغي أن تتوفر حتى يكون التأويل جائزاً ممكناً، وفي حال عدم توفر أي منها يغدو التأويل متعذراً، والشروط هي على النحو التالي:

1. أن يكون اللفظ قابلاً للتأويل، أي أن اللفظ ينبغي أن يكون ظاهراً، أو نصاً بحسب معنى النص عند الأحناف، أما المفسر والمحكم فلا مجال فيه للتأويل.
2. أن يحتمل اللفظ للتأويل، أي أن المعنى الظاهر الذي يفترض المؤول أنه المعنى المراد ينبغي أن يكون من المعاني المحتملة للفظ.
3. ينبغي أن يكون التأويل مسنداً بقرينة كافية لجعل المعنى غير الظاهر (وليس الظاهر) هو المعنى المراد، وهذه القرينة أو الدليل غالباً ما يكون من قبيل الظنيات لا القطعيات¹⁸.

فالتأويل -وإن كان مسلماً باعتبار اتصاله بدراسة المعاني العميقة في الخطاب- فإن الأصوليين يحددون له ضوابط منهجية حاکمة لمسالك الفهم السديد؛ ولذلك اعتبروا التأويل آلية استدلالية المهدف منها الكشف عن المقصدية في الخطاب، موظفين في ذلك مختلف الآليات التي تمكنهم من الوصول إلى هذه المقصدية.

إلا أن الملاحظ أن كلا الشرطين (الأول والثاني) بالإمكان جعلهما في شرط واحد؛ إذ قبول اللفظ للتأويل يعني احتمالاً له، وثمة شرطان ينبغي أن يُذكر هنا، وهما موافقة التأويل لعرف الاستعمال اللغوي، وعدم اصطدامه بما هو قطعي الدلالة.

وتأسيساً على ما سبق فإن التأويل إذا لم يؤسس على قواعد إجرائية يصير باباً للعبث، ومن الطبيعي أن يقع الاختلاف في حكم التأويل واتجاهاته، وبخاصة إذا لم يلتزم المتصدي للتأويل بالضوابط التي تعني مراعاة الشروط التداولية للخطاب، والتي تقتضي ضرورة وضع الخطاب في سياقه التداولي؛ إذ إهمال ذلك يعني أن التأويل صار مطية للانحراف والزلل، ولذلك كان من الواجب وضع ضوابط دقيقة، لكي يكون التأويل سليم الاتجاه مقبول المعاني، ولا يؤدي به إلى ابتعاد بالمعنى عن مقصد النص.

الشرعي

إذا ما استصحبنا المزالق المنهجية التي وقع فيها الحداثيون الذين تعاملوا مع النص الشرعي بعيدا عن خصوصيته التداولية واستصحبنا معها تلك الضوابط الموضوعية التي رسمها الأصوليون للنص الشرعي فإننا نحاول هنا أن نقف موقفا وسطا قائما على الانفتاح النظري والإجرائي على بعض المحاولات اللسانية المعاصرة التي جمعت بين تطوير مناهج تحليل النص الشرعي بما يغني النص الشرعي على نحو يعتمد منهجا تكامليا مع جهود علمائنا الأوائل لا هدمها لها. وسنكتفي بذكر المنهج السياقي والمنهج النصي.

المطلب الأول: المنهج السياقي

يُعد السياق من الأدوات المنهجية في فهم النصوص وتحليلها ومعرفة دقائقها وأسرارها، فهو يمثل أداة معرفية في دراستها وتحديد معانيها، وضبط دلالتها على اختلاف الأنساق وتباين التأليف الواردة فيها.

ف للسياق أهمية بالغة في تحديد الدلالة الحقيقية للتركيب اللغوي؛ إذ إن اللفظة حينما ترد في تركيب جملي معين، فإنها تكتسب من ذلك التركيب المعين دلالة معينة وتوجهها خاصا يتغير بتغير ذلك التركيب.

كثرت الدراسات الحديثة حول السياق، وحام الدارسون حول معانيه، ووضعوا له تعاريف توضح ماهيته ونظريات تعدد طبيعته، واجتمعت رأيهم على أن الكلمة يمكن أن تؤثر في معنى الجملة، كما قد يحدث العكس، فتؤثر الجملة في معنى الكلمة، وهذا ما يمكن أن يُسمى (الدلالة السياقية)¹⁹.

إن دراسة معاني الكلمات من خلال السياق يقتضي تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، سواء كانت لغوية أم غير لغوية²⁰، ويبالغ بعضهم في قيمة الدلالة السياقية، حتى قال فندريس: "إن الذي يعين قيمة الكلمة إنما هو السياق؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، كما أن السياق هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية²¹."

ويأخذ بعض الباحثين على العلماء المتقدمين أنهم لا يلتزمون بالسياق دائما، على الرغم من وعيهم بدوره في تفسير النصوص، ولعل ذلك راجع إلى تعدد الأدوات المعرفية التي استخدموها في التحليل؛ إذ لم يكن السياق هو الأداة المنهجية المهيمنة، بل كانت تراحمها أدوات أخرى من العلوم الأثرية والمنطقية.

ومما لا شك فيه أن السياق يُعد عنصرا ضروريا في تحليل النص وفهم معانيه، كما أن للكلمة في كل مرة تستعمل فيها معنى معيناً مؤقتاً يفرضه السياق، ولا يُعرف إلا من خلال السياق.

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

ومع بداية القرن العشرين بدأ علماء اللغة في الغرب يهتمون بفكرة السياق في إطار علم الدلالة الوصفي²²، وقد تناول هؤلاء السياق في إطار تأكيدهم للوظيفة الاجتماعية للغة، وبيان أثر السياق في البنية ودوره في تنوع الدلالة.

ولذلك ففور سماع كلمة (سياق) تتبادر إلى الذهن بعض الأسماء الغربية مثل: فيرث، ومالينوفسكي، وبصحبتهما عدد من المصطلحات مثل: السياق اللغوي، وسياق الحال.

ونحن هنا نحاول ان نتبنى بعض المناهج اللسانية المعاصرة التي تأسست على هذه الرؤية السياقية، والتي يمكن أن نستعين بها في تحليل النص الشرعي .

ومن الأمثلة التطبيقية على اثر استعمال السياق في فهم النص الشرعي ما جاء عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات، 7]، فإن الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الإنسان، في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات، 6]، ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ، بدليل قوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات، 8]، فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر يجعل الأول للرب والثاني للإنسان ولا يليق بالنظم الكريم²³.

فمراعاة نظم الكلام وسياقه يضبط إحالة الضمير وفق ما يقتضيه المعنى الصحيح للنص، وإهمال النظر في ذلك يقع في التأويلات والتفسيرات البعيدة والمتكلفة.

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل، 69]، ولم يقل: من الثمرات كلها، ففيها الحكمة التي في الآية قبلها ومزيد فائدة، وهو أنه تقدمها في النظم قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ [النحل، 68]، فلو قال بعدها: كلي من الثمرات كلها لذهب الوهم إلى أنه يريد الثمرات المذكورة قبل هذا، أعني ثمرات النخيل والأعناب؛ لأن اللام إنما تصرف إلى المعهود، فكان الابتداء بـ(كل) أحسن للمعنى وأجمع للجنس وأرفع للبس وأبدع في النظم فتأمل²⁴. فمثل هذا التوجيه يؤكد ضرورة تحليل الجملة بناء على موقعها من النص، والبعد عن الاجتزاء.

ومن النماذج التي تظهر أثر توظيف المنهج السياقي كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة، 32]، فقد ظنت طائفة أن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْثَّامِينَ﴾، وهي آخر الآية التي قبل هذه الآية، أي من أجل قتله لأخيه، وهذا ليس بشيء؛ لأنه يشوش صحة النظم، وتقل الفائدة بذكره، ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة وتعظيم شأن القتل حين جعل علة لهذا الكتابة فتأمل²⁵.

ومن مواضع توظيف السياق في التأويل كذلك ما جاء في تفسير آية ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق، 8]، فالضمير هنا يرجع على الإنسان، أي إن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة، وهو اليوم الذي يبلى فيه السرائر، ومن قال: إن الضمير يرجع

على الماء أي أن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر فقد أبعد، وإن كان الله سبحانه قادراً على ذلك، ولكن السياق يأباه²⁶.

وقد كان هذا الضابط محل عناية العلماء في تفسيره للنصوص، من ذلك ما جاء في ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف، 53]، هل هذا من كلام يوسف أو من كلام امرأة العزيز؟ قولان للمفسرين، والصحيح أنه من كلام امرأة العزيز؛ لأن الأصل حمل الكلام على الاتصال لا على الانقطاع، قال ابن القيم — مؤيداً هذا القول —: "والصواب معهم لوجه:"

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة، وهو قولها: ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُئْ بِالْعَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف، 52]، ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه، والقول في مثل هذا لا يحدف؛ لئلا يقع في اللبس، فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول أولى به قطعاً.

الثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها: ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ﴾، والسياق صريح في ذلك، فالصواب أنه من تمام كلامها؛ فإن الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه، وهو قول النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف، 51] وقول امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف، 51]، فهذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، ثم اتصل بها قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُئْ بِالْعَيْبِ﴾²⁷.

من خلال ما ذكر يتضح أن السياق اللغوي من العلامات المائزة التي ترفع إشكال الوهم واللبس، والعدول عن "السياق يمكن أن ينقل عبارة واحدة من مدح إلى ذم، ومن تقرير مجرد إلى تلميح خفي، بل إن السياق يمكن أن ينقل الكلمة إلى ضد معناها المعروف"²⁸.

فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد العبارة وإحالتها، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي أن يشكل المخاطب بموجبه هذه المعرفة.

فهذا هو المذكور أولاً بعينه؛ فلا شيء يفصل الكلام عن نظمه ويضمّر فيه قول لا دليل عليه²⁹.

وبهذا التقرير يتأكد أن مراعاة السياق عند التعامل مع النصوص تُعد المنهج الأمثل والمسلك الأرشد في حسن الفهم والتأويل.

المطلب الثاني: لسانيات لنص وتحليل الخطاب

نتحدث هنا عما يمكن أن تقدمه لسانيات النص وتحليل الخطاب من إضافة في مجال القراءة الواعية للنص الشرعي واستكشاف مكنوناته الإبداعية والجمالية، والتي يتعذر على نحو الجملة القيام به، انطلاقاً من أن "مناهج التحليل اللساني تعد قاعدة كبرى من قواعد المعرفة وأساساً مكيماً من أسس استكشاف أعماق النص ودلالاته البادية والخفية"³⁰.

ميزة لسانيات النص في أنها أفادت من نحو الجملة مبنى ومعنى، ولكنها أضافت إلى تلك المناهج ما يثبت نصية النص وبلاغة الخطاب من غير أن يقتصر على المناهج التي كانت تجزئ النص ثم تقف عند الأجزاء فقط، مستصحبين أن الروابط والعلاقات إذا غابت عن النص تفكك واضطرب، وأن تحليل الخطاب بنحو الجملة يتعد بالنص عن سياقه الواقعي وأبعاده التداولية؛ باعتبار الخطاب مصطلحاً يشار به إلى تجاوز البنية اللغوية المجردة واستحضار خصائص غير لغوية دلالية وتداولية وسياقية.

والجدير بالذكر أن العناية بالنسق والنظام والعلاقات التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض ليست وليدة هذا العصر عصر اللسانيات والعلوم الإنسانية، ولكنها وجدت من قبل بين علماء التراث وهي آليات كاملة متكاملة لا تعرف الحدود الفاصلة بينها.

وقد بدا يظهر في ساحة المناهج مقاربات نصية حديثة تقوم على التماس مواطن الانسجام والتماسك في بناء النص القرآني والبحث عن كل عناصر التساند في البنية اللفظية والمضمون الدلالي والمقاصد الشرعية. ونحاول فيما يأتي إبراز شيء من ملامح توظيف هذا المنهج في التعامل مع النص القرآني.

المطلب الثالث: التماسك النصي في الخطاب القرآني³¹

التماسك Coherence مفهوم يعنى بخصائص الربط النحوي بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصية متماسكة مترابطة، وعرفها هالدي وريقة حسن بأنها "علاقات المعنى الموجود في النص تلك التي تعرفه بأنه نص"³².

تُعدُّ سورة الإخلاص في القرآن الكريم نموذجاً مثالياً لتحقيق التماسك النصي بنوعيه: الشكلي والدلالي³³؛ فعلى المستوى الشكلي (ظاهر النص) يتحقق التماسك من خلال عدة وسائل، منها: الإحالة بالضمير، والتكرار، والموازاة والمقابلة، وإعادة الصياغة، والعطف.

تجعل الإحالة من كلمة (الله) سبحانه وتعالى، محورا مركزيا تحيل إليه الضمائر الظاهرة والمستترة، فالضمير الظاهر (هو) في بداية النص يحيل (بعدياً) إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. والضمير الظاهر (الهاء) في نهاية النص يُحيل قبلها إلى (الله) سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ بينما الضمير المستتر للفعليين المنفيين: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والواقع في محل رفع فاعل، وتقديره (هو) يُحيل قبلها إلى الله سبحانه وتعالى.

ويؤدي التكرار دورا جوهريا في تماسك أجزاء النص شكليا، من خلال التكرار المعجمي لكلمة (الله) ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والصَّمَدُ، والتكرار المعجمي لحرف النفي (لم) مصحوبا بالتكرار الجزئي لمادة (ولد) في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

كذلك تؤدي المقابلة دورها في تماسك النص على المستوى الشكلي، وذلك من خلال التضاد بين الفعلين المنفيين ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

وتؤدي الموازنة دورها في تماسك النص شكليا من خلال الموازنة بين تعبيرات مختلفة: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الله الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ.

وتتمثل إعادة الصياغة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الله الصَّمَدُ. فهو الإله الواحد، الذي ليس كمثلته شيء، ومن ثم فهو وحده سبحانه الذي يقصده العباد لقضاء الحوائج والرغائب.

ويؤدي العطف دوره في تماسك كلمات النص شكليا، وذلك باستخدام حرف العطف (الواو) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾.

ويتحقق التماسك الدلالي في سورة الإخلاص من خلال علاقيتين رئيسيتين في النص، هما: علاقة (الإجمال والتفصيل)، وعلاقة (السبب والنتيجة).

تتمثل علاقة الإجمال والتفصيل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وما يليها، فقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو إجمال يتبعه التفصيل في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فالله لم يلد، فلا صاحبة له، وهو لم يلد له أحد، ومن ثم فلا أب له ولا أم ولا إخوة أو أخوات، فهو الواحد.

وتتمثل علاقة السبب والنتيجة في قوله: ﴿أَحَدٌ﴾، فهو الواحد الذي لا شبيه له، ولا حاجة له بصاحبة أو ولد (السبب)، ومن ثم فهو ﴿الله﴾ المستحق للعبادة والتقديس وحده دون غيره.

وهو سبحانه ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾ فليس له نظير ولا ند ولا مثيل ولا منافس، ولا قاهر، ولا غالب له. (سبب) إذن (نتيجة ذلك) أنه (الصَّمَدُ) أي الذي يجب أن يقصده الناس وحده لقضاء الحوائج والرغائب.

ونخلص مما سبق إلى أن سورة (الإخلاص) تمثل نموذجاً مهما للنص القرآني الذي تحقق له التماسك النصي عبر المستويين الشكلي والدلالي، وهذا التماسك النصي يؤدي بدوره إلى تحقق شرط ثالث من شروط النصية (معايير النصية) وهو القصد، (Intentionality) ويُراد به: أن يكون للنص هدف ما يسعى منتج النص إلى تحقيقه، وهو ما تحقق في سورة الإخلاص،

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

حيث تتأزر وسائل الربط الشكلي بصورها المختلفة، مع العلاقات الدلالية ليؤكد كلاهما الرسالة المحورية والعقيدة الإيمانية التي تحملها سورة الإخلاص، والتي تتمثل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فالله هو الواحد المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها. وليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. ولا شريك ولا ند، ولا نظير له لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ومن ثم فهو المستحق للعبادة الذي يجب أن يلجأ إليه الناس جميعهم لقضاء حوائجهم.

ومن المحاولات الجادة التي استطاعت أن تحلل النص القرآني بمنهجية جديدة تجمع بين التراث والمعاصرة ما يسمى بالقراءة التساندية التي تتناول أوجه التناسب اللفظي والمعنوي والصوتي في البيان القرآني ومن مزايا هذه الدراسة انها استطاعت جمع ما تنائر من أطراف موضوع التناسب القرآني في دراسة واحدة بعد أن كانت موزعة في كثير من الدراسات القرآنية والبلاغية، وقد دعا صاحب الدراسة الى تعميم مصطلح التناسب للتخلص من كثرة المصطلحات المرهقة وتحليل البحث في إعجاز القرآن مما علق به من آثار الخلاف في قضية اللفظ والمعنى³⁴.

خاتمة

بعد هذا التطواف حول فكرة توظيف الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني والكشف عن مضامينه تبين لنا أن الأصوليين قد سيجوا النص الشرعي عموماً والخطاب القرآني صيانة له من سوء التأويل وفساد الفهم، بدءاً من اعتماد معهود الاستعمال العربي الذي نزلت به لغة القرآن الكريم مروراً بضوابط التأويل الصحيح الذي يجعل أساس منطلقه الوصول إلى القصد والغاية من الخطاب، وان ما عدا ذلك هو إبطال للنص وإفراغ له من محتواه وملؤه بمحتوى بعيد عما أراده له صاحبه، وهذا ما عمدت إليه بعض المحاولات المعاصرة التي هدمت تلك الأسس والضوابط وأقامت معها قطيعة معرفية واستعاضت عنها بالنظريات المعاصرة دون مراعاة لأية خصوصية، ولكن بالمقابل هناك محاولات يمكن الاستفادة منها في استنطاق النص القرآني خصوصاً والكشف عن مكوناته، أبرزها ما يتعلق بعلم التماسك النصي الذي بالإمكان توظيفه والاستفادة على النحو الذي اشرنا إليه في ثنايا البحث.

ويمكن سرد النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

- ضرورة التنبيه على ما أنتجه علماء التراث (لا سيما علماء الأصول) من تبصرات لا تقل أهمية عن مخرجات الدرس اللساني المعاصر.
- إن عملية تحليل النصوص واستنطاقها ليست اعتباطية وعشبية، بل لها ملامح وخصائص ومحددات دقيقة أطرها الأصوليون ضمن حديثهم عن مسالك الفهم وضوابط التأويل.
- يتكئ التحليل اللغوي للخطاب عند الأصوليين على العوامل الثقافية والاجتماعية في استعمال اللغة وتفسيرها لا من خلال المنطق والتركيبات اللغوية فحسب.
- إن الدراية الواعية ببعض مباحث الدرس اللساني المعاصر ومحاولة توظيفها في استنطاق الخطاب القرآني سيكون له فوائد كبيرة وإضافة جادة في مجال تفسير النصوص وتحليلها وهو ما يحقق مبدأ المثاقفة الراشدة.

Contemporary Linguistics And Quranic Discourse Towards An Integrative Textual Reading

- لا مانع من استثمار المناهج الغربية في تفسير النصوص الشرعية ولكن يجب أن يمر ذلك عبر الضوابط المنهجية التي وضعها الأصوليون مراعين بها خصوصية النص الشرعي، وهو ما يعني الوقوف جانب كل قراءة حادة، لا تقتحم النص أو (تفجره) بحسب تعبير التفكيكيين، بقدر ما تحاوره وتبني المعنى المتجدد.

التوصيات:

تأسيساً على ما ورد في البحث نخلص إلى بعض التوصيات. وهي:

- على الباحثين الاهتمام بالنظرات التجديدية المعاصرة التي جعلت من وكدها تطوير البحث العلمي في مجال تحليل الخطاب القرآني والاستفادة من أحدث مخرجات الدرس اللساني التي تتسم بالدقة والعمق ومحاولة توظيفها على نحو يحدث التكامل ويتعد عن الهدم والقطيعة، ويمكن أن تمثل لتلك الدراسات التي تمثل أساس الانطلاق بما كتب حول القراءة التساندية والحجاجية والتناسبية والسياقية.
- إن علم التأويل الإسلامي صرح قد تأسست لبناته، ولكنه يحتاج إلى جهود الباحثين المعززين بالمعرفة التراثية الواعية مع انفتاح على النظريات اللسانيات المعاصرة واستصحاب خلفياتها المعرفية الموجهة.
- لقد سطا على تأويل الخطاب القرآني بعض الحدائث المعاصرين الذين جعلوا ضوابط علماء الأصول وراءهم ظهرياً، فجاءوا بغريب الأحكام والتأويلات التي تقلل أو تمحو خصوصية ذلك الخطاب وقديسيته، وهو ما يجعل واجب التصدي لهذه القراءات ومحاکمتها معرفياً من آكد المهمات الملقة على عواتق الباحثين.

الهوامش

- ¹ الزهراني، صالح بن سعيد، 2014م، *بلاغة النص وسؤال المنهج*، بحث ضمن أعمال كتاب صناعة التفكير اللغوي (59-75)، ط: السعودية، مركز تكوين، ص 61.
- ² القموني، مصطفى، 2019، *تأويل النصوص بين الانفتاح ومراعاة الخصوصية*، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة العربية والآداب، كلية التربية أبو عيسى، جامعة الزاوية 254-274، الزاوية، دار رؤية، ص. 254.
- ³ انظر، جهلان 2000، محمد بن احمد، *فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني*، ص. 28. دمشق، صفحات للدراسة والنشر.
- 4 يونس، محمد محمد 2006، علم التخاطب الإسلامي، ط: بيروت: دار المدار الإسلامي، ص. 32.
- 5 القراني، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن (684هـ)، شرح تنقيح الفصول، ص. 25. تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1973م.
- 6 المرجع نفسه، ص. 32.
- 7 يونس، محمد محمد 2007، المعنى وظلال المعنى، ص. 11. بيروت، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية.
- 8 يونس، محمد محمد 2009، الميسر في فقه اللغة، ص. 78، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- 9 المرجع نفسه، ص. 78.
- 10 القراني، شرح تنقيح الفصول، ص. 20، مرجع سبق ذكره.
- 11 الخطيب، محمد 2014، معهود العرب في الخطاب وإشكالية قراءة النص الشرعي، ص. 66، خصائص النص القرآني وآفاق القراءة ص. (51-78)، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط، العدد: 2.
- (12) يونس، محمد، علم التخاطب الإسلامي، ص. 74. مرجع سبق ذكره.
- (13) م ن، ص. 100-118.
- (14) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (606هـ)، المحصول في علم الأصول، ج 1، ص. 140. تح: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1997م.

- (15) يونس، محمد محمد، علم التخاطب الإسلامي 2006، ص. 102-103. مرجع سبق ذكره.
- (16) المرجع نفسه، ص. 104-105.
- (17) يونس، محمد 2006، علم التخاطب الإسلامي، ص. 106. مرجع سبق ذكره.
- 18 القموني، مصطفى، تأويل النصوص بين الانفتاح ومراعاة الخصوصية 257. مرجع سبق ذكره.
- 19 المسدي، عبد السلام 1982، الأسلوبية والأسلوب، ص. 58، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، الطبعة الثالثة.
- 20 عمر، أحمد مختار 1998، علم الدلالة، ص. 68، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الخامسة.
- 21 فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، (1985)، صص. 230-231.
- 22 كان البحث اللساني هو الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوي قبل دي سوسير، ثم ظهر بعد ذلك علم اللغة الوصفي، وهو علم يتناول بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه أو مكان بعينه. انظر، حجازي، مدخل إلى علم اللغة للدكتور، ص 23.
- 23 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص. 507.
- 24 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت ط، ج 1، ص. 218.
- 25 ابن القيم، محمد بن أبي بكر (1978م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت، دار المعرفة، ت ط، 1978م، ص. 195.
- 26 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1991م) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 1، ص. 113..
- 27 ابن القيم، محمد بن أبي بكر (1983م)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت، دار الكتب العلمية، د ط، 1983م، صص. 426-427.
- 28 عياد، شكري 1988م، اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة - انترناشيونال برس.
- 29 ابن القيم، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين، صص. 426-427.
- 30 بودرع، عبد الرحمن 2013م، في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 2013/2/16. بإشراف مركز تفسير بالملكة العربية السعودية.
- 31 يونس، محمد محمد 2013، قضايا في اللغة، بيروت، دار الكتاب الجديد، ص. 52.
- 32 المرجع نفسه ص. 52.
- 33 علي، هاني محمود، التماسك النصي في سورة الإخلاص، بحث منشور بموقع جريدة الأمة الالكترونية [/https://al-omah.com](https://al-omah.com)
- 34 بودرع، عبد الرحمن 2013م، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص. 42-46.

📖 قائمة المراجع والمصادر:

اللغة العربية

أولاً-الكتب:

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، بيروت، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت ط.
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر 1978م، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، بيروت، دار المعرفة، ت ط.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (1983م)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، بيروت، دار الكتب العلمية، د ط.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر 1991م، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
5. بودرع، عبد الرحمن 2013م، **نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث**، الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
6. جهلان 2000، محمد بن احمد، **فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني**، دمشق، صفحات للدراسة والنشر.
7. الخطيب، محمد 2014، **معهود العرب في الخطاب وإشكالية قراءة النص الشرعي، خصائص النص القرآني وآفاق القراءة** ص. (51-78)، مجلة الترتيل، الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط، العدد: 2.

8. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين 1997م، **المحصول في علم الأصول**، تح: طه جابر فياض العلواني، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1997م.
9. الزهراني، صالح بن سعيد، 2014م، **بلاغة النص وسؤال المنهج**، بحث ضمن أعمال كتاب صناعة التفكير اللغوي (59-75)، ط: السعودية، مركز تكوين.
10. القراني، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن (684هـ)، **شرح تنقيح الفصول**، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1973م.
11. القموني، مصطفى، 2019، **تأويل النصوص بين الانفتاح ومراعاة الخصوصية**، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة العربية والآداب، كلية التربية أبو عيسى، جامعة الزاوية 254-274، الزاوية، دار رؤية.
12. فندريس (1985)، **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط.
13. عمر، أحمد مختار 1998، **علم الدلالة**، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الخامسة.
14. عياد، شكري 1988م، **اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي**، القاهرة - انترناشيونال برس..
15. المسدي، عبد السلام 1982، **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، الطبعة الثالثة.
16. يونس، محمد محمد 2006، **علم التخاطب الإسلامي**، ط: بيروت: دار المدار الإسلامي.
17. يونس، محمد محمد 2007، **المعنى وظلال المعنى**، بيروت، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية.
18. يونس، محمد محمد 2013، **قضايا في اللغة**، بيروت، دار الكتاب الجديد.
19. يونس، محمد محمد 2009، **الميسر في فقه اللغة**، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

ثانيا-المؤتمرات الدولية:

20. بودرع، عبد الرحمن 2013، **في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم** بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 2013/2/16. بإشراف مركز تفسير بالمملكة العربية السعودية.

ثالثا-اليحوث:

21. علي، هاني محمود، **التماسك النصي في سورة الإخلاص**، بحث منشور بموقع جريدة الأمة الالكترونية <https://al-omah.com>

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

faharas almasadir walmarajie

1. . azzahrani , salih bin said 2014 , balagha annas wasuaal almanhaj 59-75 , bahath dimn aama kitab sinaat attafkir allughawii , markaz takwin
2. alqammunii mustafaa 2019 , tawiil annusus bayn alinfatih wa alkhususiyaa , dimn 'amal almutamar alilmii adduwlii almutakhissis fi allugha alarabiyya wadabiha , kulliyya attarbiya 'abu iisaa , jamiaa azzawiya 254-274 , dar arruya- azzawiya .
3. jahlan , muhammad bin ahmad2000 , faaliyya alqiraa wishkaliyya tahdid almanaa finnas alqurani , safahat liddirasaat wannashr - dimashaq .
4. yunis, muhammad 2006 ,eilm attqkhitub alislamii , dar almadar alislamii , bayruut lubnan
5. alqarafii , ahmad bin abd arrahman 1973, sharqh tangiih alfusuul th: taha abdurrauuf sad , ashsharikaa almuttahidaa lilfunuun.
6. yunis , muhammad 2007, almanaa wazilaal almanaa, dar almadar alislamii , attabaa aththaaniyaa
7. yunis, muhammad2009, almuyssar fii allughaa , dar alkitab aljadiid almttahidaa.
8. alkhatiib, muhammad2014, khasais annas alqurani wafaq alqirasa. (51-78) , majallaa attartiil arrabita , almuhammadiyya lilulama
9. arrazi , muhammad bin umar bin alhusayn 1997 , almahsuul fi ilm alusuul , tah taht jabir alulwanii , jamiat alimam muhammad bin suaoud - arriyad , attabaa aluulaa , 1997 m.
10. almisaddii, abdussalam1982 'alusluub walusluubiyya, dar alkitab alarabii , libya , tunis , attubaa athththalithaa .
11. umar , 'ahmad mukhtar1998 , ilm addalala – dar alkutub alilmiyya bayruut , attabaa alkhamisaa.
12. fandaris , allughaa1985 , taarib: abdu alhamid addawakhilii wamuhammad alqassas , almaktabaa alanjaluu almasriyyaa .
13. ibn alqayyim , muhammad bin bin abi bakar, bada alfawaiid , dar alkitab alarabi , bayrut , lubnan.
14. ibn alqayyim , muhammad bin bin abi bakar 1978, shifa' alalil fi masail alqada walqadr walhikma wattalil , lubnan , dar alkitab alaraby .
15. ibn alqayyim , muhammad bin bin abi bakar (1983), rawdat almahibbin wanazhat almushtaqiin , bayrut, dar alkutub alilmyya .
16. ibn alqayyim , muhammad bin bin abi bakar 1991 , 'iilam almawqin an rabbi alalamin, tah muhammad abdu ssalam 'ibrahim annashir ,bayrut ,dar alkutub aalamyya
17. iyyad , shukrii1988 , allughaa walibdaa – mabadi ilm alusluub alarabii , alqahiraa.
18. budra abdu rrahman2013, fi lisaniyyat annas watahlil alkhitaab nahwa qaraatin fi lbina annassi lilquran alkarim bahathun muqaddamun lilmutamar alilamii litatwir addirsat alquraniyya. 16/2/2013. taht ishraf markaz tafsir bilmamlaka alarabiyya assudiyya.
19. yunis, muhammad 2013, qadayaa fi allughaa wallisaaniyyat watahlil alkhitaab , dar alkitab aljadiid.
20. ali hani mahmuud , attamasuk annassi fi surat alikhlas , bahth manshuur be mawqi jaridat alumma aliliktruniyyaa <https://al-omah.com/>
21. budra abdu rrahman 2013, nahw qiratin nassayyatin fi qirati alquran walhadith , addawha , wazaratu lawqaf washshuwn alislamiyya , alttbeat aluula.



JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ التَّرَاثِ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934

ISSN: 2253-0339

E-ISSN: 2602-6813



TOGETHER WE REACH THE GOAL



Scientific Indexing Services



ScienceGate Academic Search Engine



الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية

